

الاسم واللقب:

ا.د بلحاج طرشاوي، استاذ التعليم العالي، قسم الفنون

بوعشة فاطمة

الدرجة العلمية: طالبة دكتوراه سنة رابعة تخصص أنثروبولوجيا

رقم الهاتف: 06 58 20 48 23

البريد الإلكتروني: hafidafatma33@gmail.com

عنوان المداخلة:

احتفالية "حضرة رجال لملاح" "أما مليحة" ودورها
في التنمية المحلية لمنطقة وادي ريغ»

محور المداخلة: فعالية المناسبات الاحتفالية ودورها في التنمية المستدامة.

الملخص:

تهدف الدراسة إلى التعريف بموروث ثقافي لا مادي كانت تُعرف به منطقة وادي ريغ وهو "حضرة الرجال لملاح"، أما "مليحة" والذي كان يعكس أصالة وتاريخ المنطقة ويُعرف أيضا بـ "حضرة رجال الحشان" وهو احتفالية تُقام كل سنة بعد جني التمور ويُعبّر هذا الموروث عن عودة التقاليد والتمسك بأصالة المنطقة.

وكان يهدف أيضا إلى جمع شمل ما فرقته السنين كان في الماضي له دور ديني واجتماعي وأيضا ثقافي، حيث كان يغلب على هذا الموروث أو مجلس رجال الحشان الطابع الديني والاجتماعي والتربوي لما كان يُقدمه من خدمات تمثلت في إصلاح ذات البين ومساعدة المحتاجين والفقراء وعقد مجالس القرآن والذكر، إلا أن هذا الدور تقلص تقريبا وأصبح يأخذ طابعاً آخر تمثل في الجانب الاقتصادي والترفيهي والسياحي وفرصة للتجار لعرض منتجاتهم وتسويقها والمشاركة في تنمية اقتصاد المنطقة وتبادل السلع والمنتجات وإنشاء الجمعيات للتعريف بهذا الموروث الثقافي والسياحي، فمنهم رجال لملاح أو رجال الحشان وكيف ساهم هذا الموروث الثقافي والسياحي في التعريف بالمنطقة وبعاداتها وتقاليدها وما قدمه من خدمات ساهمت أيضا في التنمية المستدامة للمنطقة؟

الكلمات المفتاحية: وادي ريغ، رجال لملاح، حضرة رجال الحشان، أما مليحة، الموروث الثقافي والسياحي، التنمية المحلية.

Abstract :

This study to define one important aspect in the cultural heritage of the Wadi Reigh region, which is "Men of Al-Hashan Concil", reflecting the originality and deep history of the region. It is a celebration held every year after the harvest of dates, this heritage reflects the return of tradition, adherence to the originality of the region and the reunification of the society that has been divided for years. In the past, the "Men of Al-Hashan Concil" was dominated by religious, social and educational character. This is particularly evident in the quality of its services, which included reforming the relationship, helping the needy and the poor, and holding the sessions of reciting Qur'an and performing prayers. However, this has been reduced to become more economic, entertainment and touristic, and an opportunity for traders to display and market their products participating in the development of the region

economy, exchanging of goods and products, and the establishment of associations to introduce this heritage. So who are the men of Al-Hashan? How did this cultural heritage and tourism contribute to the definition of the region, its traditions? What services have contributed to the sustainable development of the region?

Keywords: Wadi Reigh, Men of Al-Hashan Concil, Cultural heritage and tourism, The sustainable development of the region.

لمحة عن تاريخ المنطقة:

سكن إقليم وادي ريغ قديما قبائل وأجناس مختلفة وتعاقبت عليه أفواج بشرية، تركت بصماتها فيه وتداخلت فيه الأنساب والأصول وجمعت بين المقيمين ظروف الحياة ووحدتها مميزات وتقاليد اجتماعية واحدة وبهذا التمازج والاختلاط. يصعب التمييز بين الأصول والأنساب، كما أنّ الزائر لوادي ريغ يلاحظ أنّها تضم خليطا متجانسا من القبائل تجمعها اللهجة المستمدة من اللغة العربية وبعض التأثيرات الأمازيغية ويجمعها كذلك الدين الإسلامي والتاريخ المشترك، هذه العروش تنقسم بدورها إلى أصلية ودخيلة.

أيضا يزخر الإقليم بمجموعة من المقدسات منتشرة في كامل الإقليم و التي تعتبر عناصر ثابتة للهوية. خصّص لها المستعمر الفرنسي بعثات استكشافية وحملات متخصصة. هذه المقدسات كانت بمثابة نقطة ضعف عند الأهالي والتي استغلها المستعمر، من خلال نشر الجهل والبدع والخرافات في المجتمع الريغي.

التعريف بإقليم وادي ريغ:

يمتد وادي ريغ ما بين سفح جبال الأوراس إلى الطاسيلي ومن العرق الغربي للحدود الليبية وتقدر مساحته الإجمالية ب 7200 كلم²، والشريط الحزامي الأخضر لوادي ريغ. يتكون من 35 بلدة وواحة و طوله يبلغ حوالي 120 كلم²، في بعض الأماكن أشهر المدن و القرى المتواجدة في حزام وادي ريغ أم الطيور،المغير، سيدي خليل، تيندلة، أغفيان، مازر، المرارة، وغلانة، جامعة، تيقديدين، تمرنة، سيدي عمران، سيدي راشد، سيدي سليمان، مقر، لهرهيرة، لقصور، غمرة، المقارين، تفرت، النزلة، سيدي ماضي، تبسبست، الزاوية العابدية، تماسين، تملاحت، بلدة عمر، قوق

الإطار الاقتصادي للمنطقة:

أ- الزراعة: إن الأجناس التي سكنت هذه المنطقة و اختارت الإقامة بها اعتمدت في معيشتها منذ القدم على الزراعة و تربية المواشي وكانت الزراعة هي المورد الإقتصادي لدى أغلبية السكان وقد ساهمت الحياة الزراعية في الإستقرار ونشر بعض الحرف البدوية كالحداودة و صناعة السلال والحبال¹ وعلى الرغم من صعوبة الطبيعة الصحراوية لكن توفرها على قدر كاف من المياه بفضل الأودية الموجودة بها كوادي جدي، وادي ريغ، إلخ، ساعد على استقرار البشر بهذه المنطقة الصحراوية.²

وبالرغم من المناخ القاسي الذي تتعرض له المنطقة إلا أن هذا لم يمنع السكان من مزاولة النشاط الزراعي و إنتاج بعض المزروعات تحديا لقسوة المناخ و من هذه المزروعات نذكر:

زراعة النخيل: يطغى على المناطق الجنوبية محصول التمر لأن هذا النوع من الأشجار يحتمل المناخ القاسي للصحراء و ينتج عدة أنواع منها: دقلة نور، غرس، دقلة بيضاء، دقلة تنيسين، طنطبوش، اليتيمة، بوعروس، العماري.... إلخ.

بالإضافة إلى الإستفادة من النخيل في إنتاج التمر فإن أهالي وادي ريغ يستخدمون منه عصير (شراب) حلو سبتي "اللاقيمي" يستخرج من قلب النخلة بعد قطعها و الضغط عليها و هو يستخرج من النخيل الذي كبر سنه و لم يعد يستفاد منه كثيرا في إنتاج التمر دون النخيل الصغير، لأن النخيل بعد قطعه و استخراج اللاقيمي منه يموت، و يتميز اللاقيمي بشدة حلاوته و مذاقه.³*

¹ أحمد بن سعيد أبو العباس الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب، تح ابراهيم طلاي، مطبعة البحث، الجزائر، دط، د ت، ص 344.

² المرجع نفسه ص 207 - 208.

³ هبة الله بوغراة، مقاومة الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب الشرقي الجزائري 1851 - 1871، مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015 م ، ص 3.

* هناك اعتقاد كان سائدا لدى الفلاحين أصحاب النخيل قديما، فإذا ما تأخرت شجرة النخيل عن الإثمار و تمادت في إفساد ثمرها أتاها صاحبها بفأسه مهددا إياها بالضرب و تارة يهددها بتجميدها قتلها و تحويلها إلى شجرة يؤخذ منها مشروب حلو يسمى لاقمي، أنظر الصروف في تاريخ الصحراء وسوف تأليف ابراهيم الساسي العوامر، ص 75.

الخضر والفواكه: بالإضافة إلى زراعة النخيل عرفت المنطقة أيضا زراعة الفواكه و لكن بدرجة أقل حيث يتوفر الماء و التربة الخصبة الملائمة للزراعة، و كان الإنتاج يوجه للاستهلاك المحلي عموما، ومن المنتجات التي جادت بها المنطقة نذكر: البطاطا، البصل، السلق، القرع، العنب، الرمان، المشمش، التين.....الخ.

القمح والشعير: بسبب غياب الظروف الطبيعية الملائمة للزراعة نجد المحصول في المنطقة ضعيف وذا نوعية رديئة، و لأن منطقة وادي ريغ تتميز بسهولة المعالجة إذا وجد الماء فهذا لم يمنع من تنوع محصولاتها الزراعية الموسمية الفصلية و السنوية كالقمح، الشعير، الذرة الصفراء، الحبوب،...الخ.¹

التوابل: و قد زرع فلاحو المنطقة التوابل رغم صعوبة زراعتها والاعتناء بها و قد كانت قليلة إن لم نقل نادرة وكانت توجه بالدرجة الأولى للاستهلاك المحلي ونذكر منها: الكزبرة، حبة حلاوة، البسباس، الكروية، الحلبة.... الخ.²

تربية المواشي: كان سكان وادي ريغ يربون الماعز و الإبل و البقر، و قد كانوا يستفيدون من لحومها و صوفها وحليبها، وقد مثلت ثروة حقيقية لسكان المنطقة، و لم يقتصر اعتمادهم عليها بعدا الشكل بل تعداه إلى استعمالها في التنقل وتدوير الطواحين لاستخراج المياه من الآبار.³

ب- الصناعة:

كانت الصناعة في أغلبها تقليدية بسيطة تقوم على اليد العاملة التقليدية و المواد الأولية المتوفرة في المنطقة، أما المواد المنتجة فكانت تتمثل في مستلزمات السكان، وكانت موجهة وبشكل خاص نحو

¹ رايح رمضان، جوانب من الحياة الاجتماعية و الإقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواط، أعمال الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية و الإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12 - 13 و 18-19 م من خلال المصادر المحلية، معهد العلوم الاجتماعية و الإنسانية للمركز الجامعي بالوادي، الوادي، 2012 م، ص 198.

² ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط.1 د ت، ص542.

³ رايح رمضان، مرجع سابق ص 198.

الاستهلاك المحلي، أما ما يفيض عن حاجيات السكان فإنه يوجه للتصدير نحو الخارج ومن أهم المنتجات نذكر:

الغزل والنسيج: مارس أهل المنطقة صناعة الأنسجة الصوفية كالقندورة والبرنوس والقشابية والبخونق والأفرشة والأغطية، كانت هذه الحرفة من قبل النساء في البيوت خلافا لبعض المناطق الأخرى حيث يشتغل بالنسيج الرجال و النساء على السواء و أنسب وقت تعمل فيه النساجات هو فصل الصيف، وقد اشتهرت المنطقة بصناعة الحنبل أو الحولي الذي هو الفراش والغطاء الدافئ، ولأهميته فهو يدخل في صداق المرأة والبرنس الذي يرمز إلى الرجولة و الهمة والقشابة والقندورة والبخونق، وكل هذه الأنواع تنتج على قدر الإكتفاء الذاتي وربما يصدر منها البعض.¹

وعند اتمام نسج الصوف يطرز من طرف محترفين نساء من ملابس و أفرشة و ستائر، تظهر رموز تعكس الهوية الثقافية للمنطقة من أشكالها و ألوانها و طريقة تطريزها و بقيت هذه المهنة للوقت الحاضر نظرا لكثرة الاهتمام.²

ولأن منطقة وادي ريغ تنتج التمور بكثرة بالإضافة إلى صناعة الأقمشة الصوفية، فإن التجار يصدرون بعضا من هذه المنتجات و المصنوعات و يشترون ما يحتاجه السكان كالأقمشة القطنية والعطريات و الزيوت و أنواع البخور و اللبان و غيرها من السلع.

كما أن سكان وادي ريغ لم يمارسوا التجارة كحرفة أساسية و لم يعرفوا النشاط التجاري كما عرفه جيرانهم، و إنما عرفوا بتجارة استهلاك السلع (المواد الغذائية) المستوردة و السلع التي تأتي إلى أسواقهم العامة بالتجار و التجار القادمين من كل فج.³

¹ عبد الحميد ابراهيم قادري، تقرت البهجة ماضيا و حاضرا، ص 160.

² ثوبية برقية، ارتباط معالم أثرية بالعادات و التقاليد في منطقة وادي ريغ، مذكرة ماستر قسم الفنون تخصص حماية الممتلكات الثقافية، ص 76.

³ الطيب بوسعيد، مرجع سابق، ص 144.

و لعل من أهم الصناعات السائدة في العهد العثماني هي ما يسمى اليوم بالصناعات التقليدية التي تعتمد على المواد الأولية المتوفرة في المنطقة أو المجلوبة من غيرها كالطين و مشتقات النخيل والصوف والوبر و الجلود و بالتالي فهي تشمل صناعة الملابس و الأغطية و مشتقات النخلة كالسدة والمظلة والقفة و السلال، و يلخصها ابراهيم قادري في صناعة الغزل و النسيج و أهمها الحنبل و البرنوس والقشابية و القندورة و الحدادة و تختص أيضا في صناعة السكاكين و الفؤوس و المناجل والكوانين، بالإضافة إلى صناعة الفخار كأدوات و أواني الطبخ و الزينة و منها القلال و الكساكس والأباريق وغيرها، فضلا عن صناعة الجلود و المتمثلة في النعال و الثرب و الأثاث و المتاع و غيرها من المصنوعات الجلدية كالأحذية ناهيك عن تصنيع مواد النخيل الأولية و تحويلها إلى أقفاص ومظلات وسجاجيد و حصائر و مراوح و زناجيل و ما إلى ذلك كالأبواب والجوابي.

وأضافت بعض المراجع صناعة بعض المواد الأولية المتوفرة كملح البارود، كما تصنع ثغرت الأسلحة التقليدية كالسيوف و كذلك صناعة الأواني النحاسية و السروج والألجمة.

المساجد والأضرحة بوادي ريغ:

إن الشيء الذي جلب انتباهي في منطقة وادي ريغ كثرة القباب لأولياء صالحين فترى في كل بلدة قبة فيها رجل صالح دفن تتسب إليه القرية كسيدي خليل (نواحي المغير) و سيدي يحي (نواحي جامعة)، سيدي عمران (نواحي جامعة) و المشاهير الذين عليهم العمارة هم: سيدي محمد بن يحي (قريبا من وسط مدينة تفرت) و سيدي محمد بن أحمد الميكالي بوعمرية، المسمى بالسايح (جنوب تفرت قرب بلدة عمر)، و سيدي بوحنية (جنوب تفرت و بقرية قووق) و سيدي الحاج علي التماسين (جنوب تفرت و بتماسين)، و يلحقهم في الشهرة سيدي مبارك الصايم (بمدينة المغير) و سيدي علي بن كانون (بمدينة المغير) و سيدي بوجنان (النزلة جنوب تفرت) و سيدي بن هارون (بالنزلة) و سيدي بودرهم (تماسين) و أما سيدي محمد بن يحي إستوفد أهل الحل في الواحة في أواخر القرن 9 الهجري فكان

سلطانا روحيا و سياسيا معا و قضى على النزاعات المعارضة في أوائل القرن العاشر هجري ولذلك يطلق عليه سلطان وادي ريغ و أصله من ريغة قرب سطيف.

«كانت زيارة أضرحة الأولياء الذين يعتقد فيهم الولاية والصلاح والتقي ظاهرة من الظواهر الإجتماعية الشائعة في الإقليم، فقد اشتهرت منطقة وادي ريغ بكثرة الأضرحة و المزارات، فلا تكاد تخلو منطقة من ذلك، وخلال النصف الأول من القرن العشرين وصل عدد الأضرحة و المزارات بالمنطقة إلى 126 مزارة منها 45 في منطقة تكثر بما فيها النزلة و تبسبت والزاوية العابدية وغيرهم، أما تماسين و بلدة عمر فيضمان 23 مزارة و تحتوي لمقارين، بما فيها مقر وسيدي سليمان والقصور على 30 مزارة كما تضم جامعة و ضواحيها 15 مزارة و تضم المغير 13 مزارة، ولعرش أولاد السايح مزارة واحدة، نفس الشي بالنسبة لعرش الفتايت و العباضلية و عرش سعيد أولاد عمر، أما عرش لغراية رحمان و سلمية فله مزارتان.¹

و قد تعلق الناس تعلقا كبيرا في منطقة وادي ريغ بالأولياء و الرجال الصالحين، فالكثير من القرى و المداشر في الإقليم تحمل اسم ولي أو مرابط، ففي مطلع القرن 20 كانت هذه القرى و المداشر تتوسط واحات النخيل بين أحضان ولي من الأولياء يعرف بصاحب البلاد أو "مولى البلاد" يعتقدون في بركته اعتقادا مطلقا فلا يتزوج متزوج إلا بعد زيارته و طلب رضاه، و لا يحلق شعر صبي لأول مرة إلا داخل ضريحه، و لا يختن إلا بعد التبرك به و طلب الحفظ من الله عنده، و لا يمرض مريض إلا و يرجو الشفاء عنده بدعواته الكامنة.²

بيّنت أقوال المؤرخين والجغرافيين القدامى أنّ لهذه المنطقة تاريخاً عريقاً حيث تعاقبت عليه أهم... عديدة منذ العصور الحجرية وحتى القحح الإسلامي لأنّ التجمّع السكاني الأوّل كان متكوّناً من قبائل إثنية

¹ معاذ عمرانى، المساجد و القباب و الأضرحة في منطقة وادي ريغ خلال النصف الأوّل من القرن العشرين أعمال ملتقى، ص 140-141.

² معاذ عمرانى، مرجع سابق، ص 141.

* هنا الغابة يقصد بها غابة النخيل.

ذات أصول زنجية وإثيوبية عاشوا على الحدود الجنوبية لليبيا وهم من مهاجري زنوج العصر الحجري المتوافدين من نواحي مصر كانوا يمارسون حرفة الريّ، حيث تعدّ هذه الفئة السكانية، الليبيون والإثيوبيون من جهة والجيتوليون من جهة أخرى، أوّل من ساهم في التكوين والتحوّل المناخي لمنطقة الصحراء بصفة عامة بفضل مجهوداتهم التي بذلوها متحدّين الطبيعة وقساوتها. من خلال الدراسة، وقد دلّت الحفريات والدراسات على أنّ الزنوج عثروا الصحراء الجزائرية ما يقرب أربعين ألف سنة، إذ عثر علماء الآثار على نماذج من الصناعات الحجرية الرائعة لمدينة تماسين تعود إلى العصر الحجري الحديث¹.

يقول الأستاذ "أبو بكر محمد السعيد": «في جلساتي مع المشايخ من أهل الإقليم في اللقاءات الاجتماعية أجبرهم دوماً للخوض في موضوع تاريخ وادي ريغ وفي واحدة من اللقاءات وجدت من أشار إلى قضية أوّل اتصال بين الفاتحين وسكان الإقليم». ويقول الراوي ناقلاً عن القدامى: إنّ سكان وادي ريغ حين سمعوا بجيش سيدنا عقبة في موقع تهودة وهو موقع قريب من مدينة سيدي عقبة حالياً، جمعوا بعض رجالهم عبر قصور الإقليم بداية من سيدي بوحنية في أقصى جنوب الوادي قرية فوّث حالياً وهم يضربون الدف وعزموا الذهاب للقاء سيدنا عقبة في تهودة، وهكذا كلّما مروا على قصر انضم إليهم جمعاً جديداً وكان غرضهم نصرته والانضمام إليه، حاملين علم النصر وحين وصلوا إلى المغيّر حالياً قال لهم سكان المغيّر: «أنتم ذاهبون لسيدنا عقبة تتاصرونه وهو في معركة فإن انهزم ماذا ستفعلون وأنتم لا تعرفونه فمن الأحسن أن تحملوا معكم سرا رايتين، راية ترفعونها إن وجدتموه منتصراً وأخرى إن وجدتموه منهزماً حتى لا ينقلب عليكم أعداؤه وبهذا غيّرنا نيّتهم ولهذا سميت المغيّر بالمغيّر».

وحين وصلوا لسيدنا عقبة التقى الوفد وعلم بنية خروجهم وكيف غيروها حين وصلوا للمغيّر.

فقال لهم: أي دعا عليهم بالدعاء التالي: {الله يغيّر نفيكم ويجعل عدوكم أكثر من صديقكم} خشبة وعمود وشوف يلقو الماء ولا ما يلقوه)، حيث كان السقي في السابق بالماء وهو يجري على وجه الأرض،

¹ - عبد الحميد إبراهيم قادري، وادي ريغ تاريخ وأمجاد جزائرية، دراسة تاريخية، دار الأوطان، ط2، 2014، ص.30.

فكان هذا الدعاء سببا في جفاف الواد وأصبح الحصول عليه يتطلب حفرا، هذه الرحلة ما تزال نفسها لليوم تُعرف بحضرة "الرجال لملاح"¹.

منذ زمن اقترن شهر أكتوبر ببداية جني التمور وانطلاق قوافل الحجيج من بلاد المغرب الأقصى والأوسط وبلاد الجديد، كما كان موعد للقاء العائدين من البقاع المقدسة والذين كانوا أمضوا سنة في طريق عودتهم وكان الأهالي وقبل أن يتولى أمرهم الولي الصالح سيدي محمد بن يحيى يستقبلون جحافل الحجاج بالقول: "حضر ركبنا رجال لملاح". وكان اسم رجال لملاح يُطلق على الحجاج اعتباراً لقدسية من يتحمل عناء الحج ومخاطره وزاد ملاحه بغسل الذنوب.... وكان الأهالي يُقيمون احتفالات أحدهما بقدم هؤلاء سالمين غانمين فتضرب الدفوف وسميت هذه "حضرة" نسبة لحضورهم واحتفالاً آخر بما جلبه هؤلاء وعرضه على الأهالي بيعاً وشراءً ومقايسة، وسميت "لمة المليحة" وتتزايد هذه اللمة التي حُور اسمها مع الزمن إلى "أما مليحة" مع بداية الجني... ومع قدم مركب سيدي محمد بن يحيى واستقراره بالمنطقة اتخذت الحضرة شكلاً آخر أكثر نفعاً وتنظيماً بحيث أصبحت تظاهرة ذات أبعاد متعددة اجتماعية واقتصادية ودينية وفصل أيضاً في مدلول كلماتها: حضرة هي الطبل الذي يضرب للسكان أو كلّ ذي شأن في المراسيم وخلال جولاته، الركبان، أطلقت على الوفود القادمة إلى المدينة والتي كانت تستضاف من قبل الأهالي أكلا ومبيتاً، أما رجال لملاح فقد كانت تطلق على الأولياء الصالحين².

¹ - الأستاذ أبو بكر حميد السعيد، أستاذ في التاريخ الحديث بجامعة غرداية، متخصص في علاقات الجزائر مع إسبانيا وحالياً تاريخ منطقة وادي ريغ.

² - احتفالية اللمة المليحة، جوهرة تفرّت، واحة الحب والعطاء والأصالة، على الموقع: www.tougourt.org

الرجال لملاح:

تسمى بلغة البربر "أريازان ذو أصبيح" وظهرت التسمية ابتداءً من القرن الثامن الهجري، حيث كان فيما قبل سكان الواحة يغدون في كلّ عام لزيارة الوليّ الصالح سيدي بوحنية، على ما يعتقدون وجوده في أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، في فصل الخريف ويجعلون يوماً للفرح والمرح يضربون الدفوف ويرقصون، وهناك أناس مفكرين صالحين فاستخدموا ذلك اليوم في الصالح العام، انتخبوا في كلّ بلدة صالحها من أهل الزوايا أو المتظهرين للقرآن الكريم¹.

هي ملتقى القضاة والتجار والحرفيين والأحباب، كانت تُقام هذه الحضرة أو منتدى الصلح بين العشائر في يوم معلوم من كلّ سنة وهو أوائل فصل الخريف، كانت تقام بأماكن تتركز الأهالي وذلك حسب كثافتهم العددية... وتعدّ حضرة رجال لملاح أو لالة مليحة من أكبر الحضرات على مستوى وادي ريغ، إذ تستغرق مدتها 33 يوماً².

ويطلق عليها أيضاً "حضرة رجال الحشان"³.... وهو الاسم الذي يطلق على السكان الأصليين حالياً، وحسب الروايات المحلية وبعض المخطوطات أنّ المرأة لالة مليحة هي ولية من الأولياء الصالحين اشتهرت بالورع والتقوى ولما توفيت دفنت وجعلوا لها مزاراً يذهبون إليه في مختلف مناسبات الأفراح كالخطوبة والزواج والختان ثم ارتبط مزارها بعادة اقتصادية واجتماعية عُرفت بـ "حضرة الرجال الحشان" تكون في موسم جنّي التمر في الخريف، وهي عادة اجتماعية تعود إلى القرن الحادي عشر ميلادي

¹ - محمد الحاكم بن عون، مخطوط أخبار وأيام وادي ريغ للشيخ محمد الطاهر بن دوية، مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص: علم المخطوطات، السنة الجامعية: 2010-2011، ص79.

² - أحمد حسين بن براهيم، النزلة بين ولاد أحسن و ولاد أرحاب، د.ط، د.ت، ص77.

* - رجال الحشان كلمة تُطلق على كبار الفلاحين، والحشان هو الفسيل من النخل وأطلق هذا الاسم عليهم لجلبهم الفسيل بن الزاب من عهد بعيد، واسمها بالبربرية (أريازان نيزاداييت)، أي رجال النخلة، لأنهم يعتقدون أنّ النخلة لها تأثير في الوجود.

(4هـ- 10م) وتنسب للأولياء الصالحين الأوائل اعترافاً بالعمل الجبار الذي قاموا به لتعمير المنطقة، ويتبع هذه الحضرة مدائح دينية مع ضرب الدف، ورقص بعض الحاضرين على تلك الأنغام.

وينطلق موسم حضرة رجال الحشان حسب ما رواه لنا المشرفون عليها، يوم السبت في تبسبت وبالتحديد بساحة سيدي عمر بن تاتي وفي المساء إلى ساحة رجال لملاح ويوم الأحد صباحا بحي بن يسود وفي المساء بحي سيدي بوعزيز، وفي صبيحة اليوم الموالي بالنزلة حيث ضريح سلطان وادي ريغ (سيدي محمد بن يحيى) ثم إلى سيدي منصور وسيدي فتية، وكلّ هذا لمدة ثلاثة أيام وبعدها إلى تفرّت الخميس سيدي حاج سعيد والجمعة لسيدي عبد السلام والسبت أيضا في تفرّت بكلّ من حي بوعلوس وحي العرقوب الجديد ويوم الأحد والاثنين نحو الزاوية العابدية ثم تواصل المسيرة لهذا الجمع نحو المقارين، ووقفاً ببعض الأماكن لتتجه إلى رأس الوادي بالمغيّر وهذه الرحلة تستغرق خمسة عشر يوما، وتهدف هذه الطريقة الصوفية إلى الصلح بين أفراد المجتمع والسعي إلى الأعمال الخيرية والدعوة إلى المشاريع ذات المنفعة العامة والمصلحة المشتركة، وإنّ الاستقراء التاريخي لهذه الظاهرة يسمح لنا بالقول بأنّ ما يسمى بالحضرة هي طريقة صوفية إذ احتضنها المتصوّفون وصبّوا فيها كلّ تصوراتهم وأحاسيسهم وتجلياتهم وأفكارهم عن الكون والحياة والموت، إلّا أنّه ممّا تجدر الإشارة إليه هو أنّ هذه الحضرة قد احتواها الاستعمار الفرنسي في النصف الأول من القرن 20 ونفخ فيه من روحه ليُفسد من خلالها عقيدة المجتمع المحلي، فشجع رجالها وقلبهم على رجال الإصلاح، فانحرفت عن طبيعتها ومقصدها الروحي فصارت ملجأ للمشعوذين والفسّاق.

وممّا يؤكد هذه الرواية الرّحالة الليبي محمد عبد الجليل الفرزاني من خلال مخطوطة "ريّ الغليل في أخبار بن عبد الجليل"، خاصّة لما زار منطقة وادي ريغ في الخمسينيات من القرن التاسع عشر قائلاً: «... ومن تبسبت يقابلك قبتين، يقال لهم رجال المليحة وهي كانت امرأة مدفونة فيهم يقال لها "لالة مليحة"، فهم يأتون أول الخريف، الأركاب، من جميع بلدان وادي ريغ ويزوروا لالة مليحة، ويجعلوا فيها

عُرس، ولا يقعد في وادي ريغ أحد إلا يزور رجال المليحة، ويمشي سلطان تفتت ويجعلون فيها طعام وحضرة، ولا يقعد في تفتت لا رجل ولا امرأة، إلا مشت وزارت رجال المليحة وبعد رجال المليحة يمشوا جميع الناس والأركاب ويتوجهوا من بلاد إلى بلاد ويزورون المرابطين والزوي في جميع بلدان وادي ريغ حتى يوصلوا إلى الوريير وهو آخر بلاد من بلدان وادي ريغ ويجعلوا فيه حضرة ويشطحو فيها، ويقال أن جميع الأحناش واللفاع والعقارب تخرج في تلك الحضرة وتشطح على دف البندير، فمشينا معهم حتى وصلنا إلى الوريير، فلا رأينا شيئاً من ذلك الأمر الذي يقولون عنه فما هو إلا كذب وبُهتان، ورجعنا إلى الوريير بعد ثلاثة أيام وروحنا إلى المبعث¹.

وازهت حضرة رجال الحشان إبان حكم بني جلاب بتفتت ووادي ريغ وخاصة في معركة مئة محمد ومحمد حيث كانت حضرة رجال الحشان تتشط في الأعياد والأفراح والمناسبات الخاصة وللفرقة نظام خاص يتميز عن أنظمة الفرق الفلكلورية الأخرى كما يتميز وزن وريتم أغانيها الخفيفة والرشيقة بطابع خاص يُميزه السامع عن بقية المجموعات الأخرى الموجودة بتفتت ووادي ريغ وكل أغانيها عبارة عن مدائح عن أولياء الله الصالحين ورجال الحشان وهي خفيفة ومشوقة وريتمها سريع زاد من إعجاب المتفرجين تشويقاً، وتتكون الفرقة من:

-المقدّم وهو رئيس الفرقة؛

-المقدّم الثاني؛

-وأعضاء الفرقة؛ منهم الضاربين على الدفوف والمغنين والراقصين.

وللفرقة لباس خاص أثناء ممارسة نشاطها، فالرئيس أو المقدّم يلبس قندورة خضراء ويضع منديل أحمر على رقبته، المقدّم الثاني يلبس قندورة خضراء ويضع منديل أخضر على رقبته، وكل راقص أثناء

¹ - تقديم الأستاذ رضوان شافو.

رقصته يلبس قندورة بيضاء ويضع إزار ذو لونين أخضر وأحمر أو أصفر وأخضر ويضع منديل أخضر أو أحمر على رقبته ويرقص حتى يتجول¹.



تقول نادية* حضرة ما مليحة تأتي كل عام في الخريف تزامناً مع "التخراف" على حدّ قولها لكي يعرضوا منتوجاتهم وتُقام فيها عروض فلكلورية لحدّ الآن وهي عبارة عن وعدة وطقوس غريبة، ويجتمع النساء في بيوتهنّ ويطهون الكسكسي لكي يأكل الزائرين وجماعة الحضرة (حضرة سيدي عمار)، وتُعرض منتوجات تقليدية، يجب أن تأخذ مكانها بيوم الأحد مساءً ثم ينتقلون إلى مكان يقال له جالي ثم لبني أسود.

¹ - أحمد حسين بن براهيم، المرجع السابق، ص.78.

والفرقة فيها رجال ونساء وشيوخ ولما يأتون يجب عليهم أن يؤثروا في الأطفال الصغار لكي
"يتحملو" أو "يُجذبو".

للفرقة مكان تجتمع فيه صباحاً ويضربون الطبل حتى المساء ثم يذهبوا إلى البيوت لطلب الصدقة
ويوجد عائلات تستضيفهم للعشاء والمبيت والdrahem التي يجمعونها من الطبل تُوضع في البندير. أما فرقة
سيدي عمار فهي تنتمي إلى عرشنا*.

تنشط الفرقة العمارية في المناسبات سواءً كانت حفلات زفاف، أعياد وطنية، مهرجانات، أسابيع
ثقافية أو مناسبات خاصة مثل لالة مليحة، حضرة رجال لملاح... وحسب ما قيل عن أصل الطريقة
العمارية هو منبثق من الطريقة القادرية لأنه كانت هناك علاقة كبيرة بين مؤسسي الطريقتين، فالطريقة
القادرية منسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، أما الطريقة العمارية فمنسوبة إلى الشيخ عمار بوسنة¹.

تقول نادية أيضاً تظاهرة لالة مليحة أو رجال لملاح تساهم في إبراز المنتجات المحلية التي تخص
المنطقة، والآن أصبحت تجلب السواح من داخل وخارج الوطن يشترون الأشياء المحلية ويتمتعون
بالفلكلور مع فرق الخيالة من كلّ دشرة وكلّ فرقة تقدم عروضها وهي تظاهرة جميلة جداً، تأتي حتى
الصحافة لأنها تُقام عُرضة للوالي وعدّة مسؤولين.



* - نادية كاتبة هاوية من تڤرت.

¹ - أحمد حسين بن براهيم، النزلة بين ولاد حسن وولاد ارحاب، د.ط، د.ت، ص.73-74.



وصنفت من موروّثات المنطقة وأصبحوا يهيئون لها من قبل وينظمون لها وأصبحت تظهر حتى على شيكات التواصل الاجتماعي، وكان الأهالي يدّخرون الدراهم لهذه المناسبة لكي يشترون الأشياء المعروضة لأنّه حتى التجار لهم نصيب في هذه التظاهرة لبيع منتجاتهم.



في عهد الأسلاف القدماء، كانت حضرة رجال لملاح تلعب دوراً هاماً وفعّالاً في جميع النواحي، الاجتماعية والتجارية، الثقافية والحرفية وترتكز على حل كل النزاعات التي تطرح على مجلس رجال لملاح والصلح بين الأهالي، وبعد الفصل في النزاعات وحل كل القضايا وتختتم الجلسة بقراءة القرآن والدعاء وذلك بالمسجد العتيق الكائن بالجهة أو في ساحة خاصة لذلك الغرض، ثم يتوجه أعضاء المجلس رفقة كبار الجهة والأعيان إلى ساحة الحضرة للقيام بزيارة المشاركين والعارضين من تجار وحرفيين وفرق فلكلور¹.

يقول الأستاذ أبو بكر محمد السعيد أنّ حضرة لالة مليحة أنها مناسبة سياحية يمكن أن تستغل في تقديم العديد من الخدمات ومناسبة ثقافية يمكن بقوة تاريخها أن نجعلها موعداً لملتقيات وطنية، تاريخية وفي علم الاجتماع والاقتصاد السياحي ولدراسات النفس الاجتماعية، وملتقيات دينية وفرصة للإصلاح في الجانب العقائدي، يمكن أن يستغلها الأئمة في تصويب جوانب الخطأ في الظاهرة وتبنيه الناس للجوانب الشريكة فيها، فإنّ توجيه الناس والإصلاح فقط من المسجد ليس كافياً، بل علينا أن تخرج مساجدنا للمجتمع في المناسبات.

يقول أيضاً أنّ الأصل فيها أنها اجتماع لأعيان وادي ريغ في بداية نضج تمر التينيسين في بداية موسم جني التمور وبهذا يبيعون الفال ليتمكّنوا من شراء ما يمكنهم من إكرام ضيوفهم أو شراء هدايا التظاهرة. وقد كانت الساحة الخاصة بقبر لالة مليحة وبنيتها مكان المبيت للغالبية الذين يأتون لتبسيست على أن يزوروا كل القصور كل المشاكل بين السكان خاصة مشكل مياه السقي، وتبدأ هذه الزيارة من قصر تبسيست من لالة مليحة من عائلة رجال لملاح يقصد بها الناس الخيرين، وقد كانت موسماً اجتماعياً، تتبادل فيه أغلب العائلات في وادي ريغ شمالاً وجنوباً كما كان موسماً ثقافياً بالتقاء الفرق

¹ - أحمد حسين بن براهيم، تاريخ النزلة، صفحات تاريخية خالدة، د.ط، د.ت، ص.77.

التقليدية التي تنشط الأفراح في الوادي مثل سيدي عمار والحضرة وغيطة ولاد نايل والغيطة المحلية وكما كانت موسم اقتصادي تعقد فيها الأسواق خاصة الصناعات التقليدية.

وهذا التقليد نفسه نجده في أغلب مناطق الوطن فقط بمسميات مختلفة منها، موسم الزيارة في منطقة توات الذي يبدأ من يوم أول ماي من كل سنة، ومنها زيارة سيدي كدا في منطقة الشاوية وفي الغرب الجزائري، وفي كل هذه الزيارات يحظى السكان بطبق الكسكس ويقدمونه للسكان والزوار في شكل ولائم مفتوحة¹.

ورجال الحشان هم أهل النخيل، فهم يتعهدون النزلة بالغراسة والعناية التامة لذلك أقاموا للنخلة العديد من المناسبات التي ارتبطت بهذه الشجرة المباركة... ولعل من بين المناسبات التي ارتبطت بالنخيل حضرة بورخيص وهي حضرة تقام عند إتمام عملية النخيل وتكون فرصة لالتقاء أهالي النخيل، حيث يجتمع الأهالي من رأس الوادي إلى سيدي بوحنية في ضواحي المقارين وتكون هذه المناسبة فرصة لتبادل حبار النخيل وفرصة للبيع، ويقال أن التسمية ارتبط معناها ببيع حبار النخيل حيث يُباع بأسعار رخيصة وسميت بورخيص، كما أن من بين المناسبات المشهورة والتقليدية ارتبطت بالنخلة مناسبة احتفالية مشهودة تسمى أنزور تيزدايت بمعنى زيارة النخلة².

¹ - أبو بكر محمد السعيد.

² - يوم دراسي تحت عنوان: "المقصد المبان من حضرة رجال الحشان"، يوم 10 أكتوبر 2015، تحت إشراف المجلس البلدي لبلدية تبسبت، ص.07.